

فضاءات المصالح الاقتصادية الصينية في افريقيا

هبة علي حسين*

* باحثة - مركز حمورابي للبحوث
والدراسات الاستراتيجية

باحثة من العراق

المقدمة

تعمل الصين بهدف تعزيز مكانتها وقوتها الدولية، فهي تملك ثاني اكبر اقتصاد عالمي بعد اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية، لذلك أسهم الارتفاع الاقتصادي الصيني في دفعها للتوجه خارج حدودها الوطنية لأجل البحث عن المواد الخام من المعادن، لاسيما مصادر الطاقة لهذا نجد ان أنظارها اتجهت إلى القارة الافريقية، اذ ان العلاقات الصينية - الافريقية تقدمت بشكل سريع في القرن الحادي والعشرين، وتعد من العلاقات المتميزة فهي تشمل كل اوجه التعاون المختلف في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة... فكانت الادوات الاقتصادية الاكثر تأثيراً والتي تمثلت بالمساعدات والمعونات والعلاقات التجارية والاستثمار، وهذا مايسمى بالقوة الناعمة.

وأقامت الصين علاقاتها مع الدول الأفريقية على أساس العلاقات القديمة، ما يعطي البلدان الأفريقية أولوية جديدة، وجرى التعاون مع بلدان الجنوب، من خلال الزيارات الرسمية الصينية التي تهدف إلى عدم التدخل في الشؤون الداخلية لهذه البلدان الأفريقية، وأسهمت الصين بشكل كبير في تنمية الموارد البشرية في القارة الأفريقية، فالهدف من الوجود الصيني في افريقيا هو تعميق التعاون الاقتصادي، والسيطرة على موارد الطاقة والمعادن وفتح الاسواق الافريقية امام السلع الصينية والاستثمار في المنطقة.

المحور الاول : المميزات الدافعة للتواجد الصيني في افريقيا

بدأت القارة الافريقية تأخذ بُعداً استراتيجياً بالغ الأهمية على المستوى الدولي

مؤخرًا بعدما عانت من التهميش لفترة زمنية طويلة؛ وذلك لمعاناتها من الحقبة الاستعمارية، ويرجع هذا الاهتمام الخارجي لما تحتويه القارة الإفريقية من كنوز في باطنها وفوق أراضيها؛ حيث إن معظم الموارد الطبيعية داخل هذه القارة لم تُستخدم بعد، وكذلك تعتبر القارة الإفريقية ثاني أكبر قارات العالم مساحة بعد قارة آسيا، ومن هنا سوف نتطرق إلى أهم مميزات القارة الإفريقية

1- الموقع الجغرافي

تشكل قارة إفريقيا وموقعها الجغرافي الاستراتيجي الواقع على طرق التجارة العالمية الذي يمتد من رأس مضيق باب المندب إلى الساحل الإفريقي دافعاً رئيسياً للصين، كونها جزءاً من خزان العالم الاستراتيجي من الموارد الطبيعية والثروات المعدنية الشيء الذي جعل من علاقة الصين بإفريقيا تعتبر شكلاً جديداً من أشكال الاستعمار استغلت فيه الصين موارد إفريقيا من المعادن والطاقة لصالح دفع نموها الاقتصادي. وبينما يراه الغرب استعماراً، تراه الصين علاقة فوز متبادل لكلا الطرفين. ففي حين تنال الصين ما تحتاجه من المعادن وموارد الطاقة، تكسب إفريقيا مليارات الدولارات في شكل قروض ومشاريع تنمية وبنية تحتية واستثمارات تدفع بها نحو تحقيق نموها⁽¹⁾.

(1) وصال الورفيلي، تعاطم الدور الصيني في إفريقيا: الدوافع والتحديات، مركز الدراسات الاستراتيجية والديبلوماسية، www.cds-center.com/article

أهمية قارة إفريقيا ليست وليدة اليوم، فقد كانت ومنذ العصور القديمة محط أنظار القوى والإمبراطوريات المهيمنة، لأهميتها الاستراتيجية وإطلالها على طرق التجارة الدولية البرية والبحرية، ومنذ القرن الـ 15 ازداد التنافس الغربي على النفوذ بهذه المنطقة، بل وتحول لصراع في حالات عديدة. وبالنظر للأهمية الاستراتيجية التي تشكلها هذه المنطقة الحساسة فقد أصبحت نقطة جذب وتركيز واهتمام من لدن أطراف دولية وإقليمية عديدة تتصارع على مواطن الثروة والنفوذ ومراكز القوة والحضور. وزاد من أهميتها الاستراتيجية كونها تمثل منطقة اتصال مع شبه الجزيرة العربية الغنية بالنفط، فالموانئ وحاملات النفط والغاز والاتجار بالبضائع والأسلحة وعبور الأشخاص عوامل جعلت منها نقطة جذب دولية.⁽²⁾

(2) القرن الإفريقي.. أهمية متعاظمة وصراعات مستمرة، <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/cities-andregions/2018/2/23>

تعتبر القارة الإفريقية ثاني أكبر قارات العالم من حيث المساحة، وكذلك ثاني أكبر قارة على مستوى العالم من عدد السكان، وتتمثل الفئة العمرية المسيطرة للسكان الأفاقة بأنها من فئة الشباب؛ حيث يبلغون من العمر ما يتراوح بين 19 عاماً أو أقل، وكذلك تغطي حوالي 6% من سطح الأرض، وكذلك تطل القارة الإفريقية شمالاً على البحر المتوسط وغرباً على المحيط الأطلنطي، وكذلك تطل القارة على

المحيط الهندي في الجزء الجنوب الشرقي، وتضم قناة السويس والبحر الأحمر؛ كما أنها تضم جزيرة مدغشقر، بالإضافة إلى أنها تحتوي على مضيق جبل طارق، ومضيق باب المندب، وبذلك تتوسط القارة الإفريقية قارات العالم أجمع، وتمتلك ما يؤهلها لتكون مركزاً عالمياً للتجارة؛ لما لها من قدرة عالية على التواصل مع العالم الخارجي.⁽³⁾

كما تبرز القيمة الجيوسياسية لمنطقة إفريقيا من خلال إشرافه على البحر الأحمر وبحر العرب والمحيط الهندي الأمر الذي جعل منه تأمين الممرات المائية في تلك المنطقة امر حيوي يحمي حركة التجارة العالمية، كما تعتبر المساحة البرية نقطة الانطلاق من المياة الدافئة وصولاً إلى قلب إفريقيا هذا ما يفسر تاريخ الصراعات الاستعمارية المحتدمة حول المنطقة منذ قرون طويلة بهدف السيطرة عليها مما جعل منطقة القارة الإفريقية منذ القدم وحتى اليوم تحت انظار المتنافسين.⁽⁴⁾

2- البترول والغاز الطبيعي

تحتوي القارة الإفريقية على نسبة كبيرة من احتياطي النفط العالمي، والذي تبلغ نسبته حوالي 12 %، كما أنها تحتوي على جزء مهم من احتياطي الغاز الطبيعي العالمي والذي تبلغ نسبته حوالي 10 %، ومن المتوقع تزايد هذه النسبة مستقبلاً نظراً للكميات الضخمة التي تم اكتشافها في أنحاء متعددة من القارة، وتتنافس الآن أهم الشركات على استخراجها بأحدث الطرق التكنولوجية الحديثة. ويتميز النفط الإفريقي بالعديد من المميزات، منها أنه من أجود أنواع النفط على مستوى العالم، بالإضافة إلى قرب النفط الإفريقي من أسواق التجارة العالمية، بالإضافة إلى أن الدول الإفريقية المنتجة للبترول باستثناء ليبيا والجزائر ونيجيريا ليست أعضاء في منظمة الأوبك العالمية لإنتاج البترول؛ مما يتيح لها القدرة على الإنتاج بحرية للأسواق العالمية، بالإضافة إلى قلة استهلاك الدول الإفريقية للنفط، مما يؤدي إلى وجود فائض لديها للتصدير، وكذلك وجود النفط الخاص بها بمنأى عن الصراعات السياسية.⁽⁵⁾

3- الزراعة والثروة السمكية

تُعتبر الزراعة من أهم مصادر الدخل في القارة الإفريقية؛ وذلك لأن حوالي 70 % من السكان يعتمدون بشكل أساسي على الزراعة سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، وتقدر نسبة الأراضي الصالحة للزراعة بحوالي 35 % من مساحة

(3) رانيا نادي محمد حسين، التوغل الصيني في القارة السمراء.. (المجالات - الدوافع - سيناريوهات مستقبلية)، قراءات افريقية، <https://www.qiraatafrican.com/home/new>

(4) شريف عبد الحكيم، تحديات السياسة الخارجية الصينية تجاه منطقة القرن الإفريقي - بعد الحرب الباردة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2017، ص 61.

(5) رانيا نادي محمد حسين، مصدر سبق ذكره.

القارة، ويستغل منها حوالي 7% فقط، وتتميز القارة السمراء باتساع الرقعة الجغرافية الخاصة بها، بالإضافة إلى تنوع الأقاليم المناخية، وارتفاع معدلات سقوط الأمطار، وكثرة الأنهار، ولذلك تلائم القارة السمراء لزراعة كافة المحاصيل، وبذلك تساهم بحوالي من 20%-60% من إجمالي الدخل القومي لكل دولة من دولها، وتُعتبر القارة الإفريقية أكبر مُصدّر للبن والقطن والكافور، كما تتميز بوجود الكثير من الغابات التي ينتج من خلالها كمية كبيرة من الأخشاب.

وتعتبر الزراعة أحد أهم الأنشطة الاقتصادية في القارة السمراء، لتنوع المناخ وكثرة الأنهار، حيث يعمل ثلثا سكانها بالزراعة تقريباً، التي تساهم بحوالي 20-60% في المئة من إجمالي الناتج القومي لكل دولة من دولها، إضافة إلى كونها أحد أكبر مصادر المنتجات الزراعية مثل البن والقطن والكافور، كما تتميز أفريقيا بوجود الكثير من الغابات التي ينتج منها الأخشاب بكميات كبيرة؛ علاوة على الثروة السمكية، ويساعد قطاعها على توفير الدخل لحوالي 10 ملايين أفريقي يعمل بمهنة صيد الأسماك. فيما تبلغ قيمة الأسماك التي يتم تصديرها 2.7 مليار دولار أمريكي.⁽⁶⁾

(6) عبد الكريم حمودي، الصين تغزو أفريقيا اقتصادياً، <https://alkhalee-jonline.net>

أما قطاع الثروة السمكية فهو يساعد على توفير الدخل لحوالي 10 ملايين أفريقي يعمل بمهنة صيد الأسماك، كما تبلغ قيمة الأسماك التي يتم تصديرها حوالي 7.2 مليار دولار أمريكي، فضلاً عن هذه العمالة المباشرة توجد أعداد كبيرة من السكان يعملون في الخدمات الداعمة في القطاع متمثلة في بناء القوارب، وإصلاحها، وسفن المؤن، وتسويق الأسماك والإدارة والبحوث.⁽⁷⁾

(7) رانيا نادي محمد حسين، مصدر سبق ذكره.

المحور الثاني: الاهداف الاقتصادية للتواجد الصيني في افريقيا

ان من أهم أهداف التوجه الصيني نحو القارة الأفريقية هو التزود بالثروات الطبيعية، وخصوصاً الطاقة منها؛ ففي سنة 2013 أصبحت الصين ثاني أكبر دولة مستوردة للنفط في العالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية، فهي تستورد حالياً قرابة سبعة ملايين برميل نفط يومياً، وبتزايد حاجاتها للنفط بمعدل 30% سنوياً، فإنها من المتوقع أن تفوق الولايات المتحدة في استيراد النفط خلال السنوات القادمة. وتأخذ الصين ما يقارب ثلث حاجاتها من النفط من أفريقيا، ويتوقع أن يزداد اعتمادها على استيراد النفط من القارة في السنوات القادمة، لذلك حلت أنغولا محل السعودية كأكبر مزود للصين بالنفط على المستوى الدولي، حيث تمددها بـ 15% من كل وارداتها النفطية. كما أن للصين أنشطة نفطية في الجزائر، وتشاد، والسودان، وغينيا

الاستوائية، والكونغو، ونيجيريا. فالسودان كانت تصدر نصف إنتاجها من النفط إلى الصين، ويمثل هذا 5 بالمئة من حاجات الصين الكلية.⁽⁸⁾

كما أن الصين عملت على شراء حصص كبيرة في منطقة دلتا النيجر، ففي أوائل عام 2007 أعلنت شركة النفط البحرية الوطنية الصينية شراءها حصة نسبتها 45% من حقل نفط وغاز نيجيريا، واشترت أيضاً ما نسبته 35% من ترخيص للاستكشاف في دلتا النيجر بالإضافة إلى الاستثمارات الصينية في هذا المجال بأنغولا. فالنفط أصبح عنصراً استراتيجياً أساسياً متزايد الأهمية في علاقات بكين الدولية، ويعكس صعود الصين في مجال الطاقة الحجم الهائل لطلبها المتزايد على النفط، ولدبلوماسيتها الاستراتيجية ذات النشاط المتزايد والمصممة لتزويدها بإمدادات الطاقة في المستقبل.⁽⁹⁾

(9) المصدر نفسة

وتسعى الصين إلى تأمين مصادر الامدادات النفطية بشكل مضمون ودائم في افريقيا اذ اصبح نفط القارة الافريقية من اهم اهداف السياسة الخارجية الصينية الجديدة بها ويأتي هذا الاهتمام منذ بداية التسعينات في سياق اتباع الصين سياسة تنويع مصادر التزويد بالنفط.⁽¹⁰⁾

(10) شريف عبد الحكيم، مصدر سبق ذكره، ص 50.

لذلك فإن الصين تنظر إلى إفريقيا على أنها عنصر مركزي في مشروع استدامة نمو اقتصاد الصين وتطويره على المدى البعيد. وبحسب بنك الصين، فإن إفريقيا مصدر مهم لتزويد الصين بحاجتها المتزايدة للمادة الخام، إذ إن إفريقيا لديها واحد من أضخم احتياطات المواد الخام، كما أنها المصدر الرئيسي للموارد الطبيعية الخام. أضف إلى ذلك، الفرص الكبيرة للتجارة والاستثمارات الصينية، وذلك لوجود الكثافة السكانية المتزايدة في إفريقيا وقوتها الشرائية، والحاجة الماسة لوجود بنية تحتية اجتماعية واقتصادية. وازدادت وتيرة التجارة بين الصين وإفريقيا سرعة خلال العقد المنصرم؛ إذ قفز التبادل التجاري من 10.6 مليارات في عام 2000 إلى 150 ملياراً في العام 2010، ثم إلى 166.3 ملياراً في عام 2011. أما بالنسبة لعام 2012 فقد وصل حجم التبادل التجاري 198.49 ملياراً (زيادة بمعدل 3.19% على 2011). وقد كان 85.319 ملياراً من هذه المبالغ عبارة عن صادرات صينية لإفريقيا، وجزء آخر هو 113.171 مليارات، واردات من إفريقيا للصين.⁽¹¹⁾

(11) العلاقات الصينية الإفريقية.. شراكة أم استغلال: وجهة نظر إفريقية، <http://studies.aljazeera.net/ar/issues/2014/04/201441917164379610.html>

كما عرفت العلاقات التجارية الصينية - الأفريقية تطوراً كبيراً، إذ تضاعفت أكثر من عشر مرات منذ بداية القرن الحادي والعشرين؛ فبعد أن انتزعت الصين نصف الأسواق الأفريقية منذ عام 2000، غدت الشريك التجاري الثاني للقارة سنة 2010 بعد الولايات

المتحدة الأمريكية وقبل فرنسا. وقد وصل حجم التبادل التجاري بين الطرفين سنة 2012 إلى ما يقارب 198,49 مليار دولار، أي بنسبة نمو سنوية 19,3%. شكلت الصادرات الصينية نحو أفريقيا ما قيمته 85,31 مليار دولار، أي بنسبة نمو 16,7%. أما الواردات فقد بلغت 113,71 مليار دولار، أي بنسبة نمو 21,4%. وحسب تقرير التنمية البشرية لسنة 2013 الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تحت عنوان نهضة الجنوب: تقدم بشري في عالم متغير، فقد ارتفعت خلال الفترة 1992 - 2011 قيمة مبادلات الصين التجارية مع منطقة جنوب الصحراء الأفريقية من مليار دولار إلى أكثر من 140 ملياراً. أما في سنة 2013 فأصبحت الصين تمثل الشريك التجاري الأول لأفريقيا؛ إذ تشير الإحصاءات إلى أن حجم التبادل التجاري بين الطرفين وصل إلى مستوى 200 مليار دولار في سنة 2013 - 2014 ليتجاوز بذلك حجم التبادل التجاري بين الولايات المتحدة والقارة الأفريقية بنحو الضعفين. ولتشجيع الصادرات الأفريقية نحو الصين، ألغت هذه الأخيرة ابتداءً من سنة 2012 الرسوم الجمركية لما يقرب من 60% من صادرات 30 دولة أفريقية لها علاقات دبلوماسية مستقرة معه.⁽¹²⁾

(12) حسن الحسناوي، مصدر سبق ذكره.

كما أن منطقة إفريقيا وموقعها الجغرافي الاستراتيجي الواقع على طرق التجارة العالمية الذي يمتد من رأس مضيق باب المندب إلى الساحل الإفريقي يشكل دافعاً رئيسياً للصين، كونها جزءاً من خزان العالم الاستراتيجي من الموارد الطبيعية والثروات المعدنية.

ومن هذا المنطلق، تنظر الصين إلى إفريقيا نظرة خاصة، بما يحافظ على نموها الاقتصادي وصعودها الجيو/سياسي على المستويين خاصة في ظل مبادرتها «الحزام مع الطريق» كروية جديدة تطرحها الصين لدورها العالمي، إلا أن وجودها في شرق إفريقيا يثير الكثير من الاستفهامات حول توجهاتها المستقبلية.⁽¹³⁾

(13) كمال الدين شيخ محمد عرب، أبعاد الاهتمام الصيني بشرق إفريقيا: الفرص والعقبات، <https://www.qiraatafrican.com/home/new>

تعتمد الصين في التغلغل في أفريقيا على التغيير الناعم طبقاً لإستراتيجية صاغها المفكر الهندي (برهما تشيلاني) والتي تقوم على أن التحركات الصينية خفيفة وبطيئة ولا تشكل إستفزازاً ولا شك أن هذه السياسة تدفع الصين لتحقيق نفوذ إقتصادي وعسكري عالمي أكبر من نفوذها الحالي وقد إكتست الصين بالثوب الأفريقي لتقديم نفسها كنموذج فريد مقرب من النمط الإفريقي حيث تعتمد على العمالة البشرية والإستناد إلى تشجيع شركائها التجاريين الإفريقيين لتطوير إقتصادهم والاستثمار في البنى التحتية والمؤسسات الاجتماعية.⁽¹⁴⁾

(14) وصال الورفيلي، تعاليم الدور الصيني في إفريقيا: الدوافع والتحديات، مركز الدراسات الإستراتيجية والدبلوماسية، <http://www.cds-center.com/article>

تضاعف حجم التبادل التجاري بين الصين وإفريقيا في السنوات الأخيرة، حسب

إحصائيات البنك الدولي في عام 2014، إلى حوالي 222 مليار دولار، ومن المنتظر أن يناهز الـ 400 مليار دولار بحلول عام 2020، لكن ومنذ 2012، قدّمت الصين قرابة 30 مليار دولار كقروض تفضيلية لعدد من البلدان الإفريقية، لدعم نمو المشاريع ذات الأولوية فيها، شملت مجالات متعددة أبرزها البنى التحتية والزراعة، وبناء العمارات، ومشروعات للطاقة وغيرها. كما أنشأت بين عامي 2001 و2009، صندوق التنمية الصيني الإفريقي.⁽¹⁵⁾

(15) وصال الورفيلي، مصدر سبق ذكره.

المحور الثالث: الفرص والتحديات التي تواجه المصالح الصينية في إفريقيا

تعاظم الحضور الصيني في القارة الإفريقية سيكون له آثار وتداعيات توفّر فرصاً لكل من الصين وإفريقيا من جهة، وتفرض عقبات من جهة أخرى، وتمثل الفرص فيما يلي:⁽¹⁶⁾

(16) هناء السيد حسن عبداللطيف غنيم، تملّؤ العلاقات الاقتصادية بين الصين وإفريقيا. <https://www.qiraatafrican.com/home/new>

- 1 - أن إفريقيا أصبحت سوقاً واعدة للمنتجات والسلع الصينية.
- 2 - المشاريع الكثيرة التي أنجزتها شركات صينية من تشييد الطرق، وبناء السكك الحديدية، والزراعة، إضافة إلى تدريب أعداد هائلة من موظفي دول القارة الإفريقية في مختلف المجالات.
- 3 - قامت الصين بتدريب أعداد هائلة من أبناء دول القارة الإفريقية في مختلف المجالات؛ حيث أنشأت صندوق تنمية الموارد البشرية الإفريقية الذي يساعد في تدريب 3800 مهني إفريقي سنوياً.
- 4 - تخفيض الديون عن بعض الدول الإفريقية؛ حيث إنه خلال الفترة (2010-2012م)، أسقطت الصين 16 مليون يوان مستحقة عن كلٍّ من: مالي، وغينيا الاستوائية، والكاميرون، وبنين، وتوغو، وكوت ديفوار، ودول أخرى، مما أدّى إلى تخفيض كبير في ديون الدول الإفريقية.
- 5 - فتح أسواق الصين أمام الصادرات الإفريقية.
- 6 - تحسين مستوى الصحة في إفريقيا؛ حيث اتّبع الصين «دبلوماسية الصحة» مع الشركاء الأفارقة؛ وذلك من خلال تدشين شبكة علاقات بين الأطباء الصينيين وملايين الأفارقة العاديين، والتي تُعدُّ أحد مؤشرات القوة الناعمة الصينية في إفريقيا؛ حيث تُجرى الصين تعاوناً منتظماً مع الدول الإفريقية في حقل الصحة؛ وذلك من خلال الزيارات الصحية، والتدريب الطبي،

إلى جانب ما تقوم به الصين من تزويد العديد من الدول الإفريقية بأجهزة طبية مجانية، والبرامج المشتركة لمعالجة العديد من الأمراض مثل الملاريا وفيرس نقص المناعة الإيدز.

7 - رفع مستوى التعليم بالقارة الإفريقية؛ عن طريق مساعدة الصين في إنشاء المدارس والمعاهد، بل التعاقد أيضاً على إقامة معاهد لتدريس اللغة الصينية، وإبرام اتفاقيات مع 27 جامعة إفريقية.

هذه النقاط وغيرها من شأنها أن تعزز الوجود الصيني في المنطقة، وتضمن لها أيضاً مزيداً من النجاح والثقة داخل دول القارة فيما يتعلق بمستقبل وجودها، لكن في نفس الوقت فإن مسار هذه التجربة يشوبه بعض التحديات؛ حيث برزت تحديات جديدة تلخص فيما يلي⁽¹⁷⁾.

(17) كمال الدين شيخ محمد عرب، مصدر سبق ذكره.

1 - الانتقادات الكثيرة من الغرب: وتتناول نمو النفوذ الصيني في القارة، ودوره الاستثماري، وأيضاً نشر الثقافة الصينية فيها؛ من خلال افتتاح المعاهد التي تُدرّس فيها اللغة الصينية، والوجود العسكري الصيني الجديد كما هو في جيبوتي.

2 - عدم الاستقرار الذي ينشأ لبعض دول شرق إفريقيا التي فيها استثمارات كبيرة للصين، ولعل إثيوبيا خير دليل على ذلك؛ فهناك عمليات اختطاف للرعايا والمواطنين الصينيين، ومهاجمة المصالح والمواقع والمنشآت الصينية؛ مما يؤثر سلباً على الاستثمارات الصينية. ومن ذلك ما حدث في زامبيا عام 2007م من حالات عنف وموت وقعت في منجم نحاس يملكه صينيون في تشامبيسي في زامبيا.

3 - المعارضة الإفريقية للسياسة الصينية في إفريقيا: وتتمثل في معارضة بعض جماعات المصالح لإغراق الأسواق الإفريقية بالبضائع الصينية زهيدة الثمن مما يؤدي للإضرار بمصالحهم كما يؤدي لتهديد الصناعات المحلية في هذه الدول، كما يؤدي هذا إلى تحول هذه الدول الصينية من الاعتماد على الذات للاعتماد على الخارج.

تواجه الصين العديد من العقبات المتعلقة بالثقافة واللغة والدين؛ حيث يفرض هذا على الصينيين الذين يعملون في إفريقيا، سواء كانوا دبلوماسيين أو أطباء أو رجال أعمال أو تقنيين، أن يتعلموا اللغات السائدة في الدول الإفريقية؛ وذلك لزيادة فاعلية هذه السياسات واندماجها مع الواقع الإفريقي.

المحور الرابع: السيناريوهات المستقبلية لفضاءات المصالح الصينية في إفريقيا

من الصعب التنبؤ بمستقبل العلاقات الصينية الإفريقية. فما زال هناك شيآن ظاهران؛ الأول: هو أن العلاقات -وخاصة المكونات الاقتصادية- ما زال أمامها متسع للتطور. وبالمثل فمن المتوقع أن تتطور العلاقات في المدى القصير والمتوسط. الثاني: هو أن العلاقات الصينية الإفريقية لغز يجمع بين الربح والألم، كما يمزج بين توفير الفرص والاستغلال، والنمو والاعتماد على الآخر. وتستمر البلدان الإفريقية في الاستفادة من الحضور الصيني؛ لأنه يؤدي إلى نمو مستدام وتحسين في البنى التحتية الاجتماعية والاقتصادية، وتدفع استثمارات جديدة، ومزيد من العلاقات التجارية الاقتصادية مقابل توجهات أقل تسييساً.

السيناريو الأول: ازدهار العلاقات الصينية الإفريقية:⁽¹⁸⁾

(18) رانيا نادي محمد حسين، مصدر سبق ذكره.

تتميز الصين بأنها تنتهج استراتيجية مسالمة على المستوى الدولي؛ فمن أهدافها الأساسية صيانة السلم والأمن الدوليين، وتعزيز العلاقات الاقتصادية المشتركة، وضمان أمن وحماية الدولة، وكذلك تهدف الصين بشكل أساسي لجعل العالم متعدد الأقطاب بدلاً من هيمنة القطب الأوحده على العالم، وتسعى لتحقيق ذلك من خلال عدة خطوات، منها انضمامها إلى العديد من المنظمات الدولية المتمثلة في منظمة الأمم المتحدة، ومنظمة التجارة العالمية، وكذلك انضمامها إلى عدد من المنظمات الإقليمية المتمثلة في مجموعة البريكس ومنظمة شنغهاي.

تسعى الصين كذلك من خلال علاقاتها مع الدول الإفريقية إلى أن تحد من العلاقات الخارجية لدولة تايوان، والتي تعتبرها مقاطعة صينية تسعى لاستردادها، وضمها للسيادة الصينية، ونظراً لعلاقات دول القارة السمراء مع الصين عملت على قطع علاقاتها مع دولة تايوان من أجل خدمة مصالح الصين الواحدة، وقد طلبت الصين في مطلع العام الجاري 2018 من دولة «سوزولاند» الإفريقية أن تقطع علاقاتها مع دولة تايوان، ونظراً لهذه المصالح التي تتلقاها الصين من هذه القارة السمراء، فداءً ما تسعى الصين إلى زيادة العلاقات الودية مع هذه القارة.

وترى الدول الإفريقية أن الصين تمثل الداعم الأفضل لها؛ حيث إنها لا تسعى للتدخل في الشؤون الداخلية للدول الإفريقية، كما أنها تحترم ثقافات الدول الأخرى، كما أن الدول الإفريقية في حاجة إلى الدعم والمساعدات المالية التي تقدمها لها

الصين، ومن خلال ما سبق ولأن هناك مصالح متبادلة بين الجانبين تسعى كلٌّ منهم لتوطيد العلاقة بالأخرى، ووفقاً لذلك نرى أن العلاقة بينهما في تطور مستمر.

هذا السيناريو يعد الأكثر واقعية والأقرب للحدوث؛ وهو مزيداً من التبادل التجاري والتعاون بين البلدين؛ وهو ما تعززه العلاقات الاقتصادية القوية بين البلدين؛ والنظرة الصينية المختلفة لأفريقيا وما يساعد في ذلك التاريخ ناصع البياض للصين في أفريقيا في مقابل الدول الغربية وسجلها الإستعماري؛ هذا السيناريو ينطلق من القيمة الجيوستراتيجية لأثيوبيا في وجهة النظر الصينية في حماية قاعدتها في جيبوتي بحثاً عن مزيد من النفوذ في أفريقيا؛ كما أنها تستطيع أن تطل من نافذة أثيوبيا بورقة المياة علي مصر والسودان كورقة تفاوضية حقيقية ونفوذ أكثر واقعية.⁽¹⁹⁾

السيناريو الثاني: بقاء العلاقات التعاونية بين الجانبين كما هي:

في عام 2004 كان هناك حوالي 10 زيارات متبادلة بين كبار المسؤولين الحكوميين بين الصين والبلدان الإفريقية، وقد تمحورت معظم هذه المناقشات حول التعاون الاقتصادي في مجال الطاقة؛ ففي فبراير 2004 قام الرئيس الصيني «هوجنتاو» بزيارات إلى الجزائر والجبون ونيجيريا؛ حيث إنهم أكبر البلدان المنتجة للطاقة النفطية في القارة السمراء، وفي يونيو 2004 قام نائب الرئيس الصيني «زينغ كينغ هونغ» بزيارة إلى كل من تونس وتوغو وبنين وجنوب إفريقيا؛ حيث تتوافر لديهم المعادن.

كما أعلن نائب رئيس إدارة الطاقة باللجنة الصينية للتنمية والإصلاح في عام 2005 أنَّ القارة السمراء قارة غنيّة بالعديد من الموارد الطبيعية، لكنها تفتقد للتطوير والاستغلال الأمثل للموارد، ولكن الصين تمتلك الخبرة والتجربة، وكذلك تمتلك الاقتصاد المتنامي، وكذلك تمتلك للتكنولوجيا المتطورة وكافة التجهيزات التي تدعم بها القارة السمراء، لكنها في حاجة متزايدة للنفط مما يدفعها للتقارب مع هذه القارة السمراء.

كما أن هناك ثناء من بعض الدول الإفريقية على التعاملات الدولية للصين منها رئيس دولة روندا «كاجامي»، والذي صرَّح بأن الصين تأتي بما تحتاجه إفريقيا من استثمارات وأموال للحكومات والشركات على حدٍّ سواء، وصرح كذلك بأن الاستثمارات الغربية لم تُسهم في تقدم القارة تماماً، وأن الشركات الغربية لوَّنت القارة الإفريقية، ولا تزال تلوث هذه القارة؛ حيث إنها تستخدم الصومال كصندوق نفايات.

(19) ساره ممدوح حسن، الإستراتيجية الصينية في أفريقيا : دراسة حالة أثيوبيا، لمركز الديمقراطية العربي، <https://www.politics.dz.com/community/threads/al-stratigi-alsini-fi-friqia-dras-xhal-thiubia>, /9117

ومن خلال الدلائل السابقة ولأن كلاً من الجانبين لديه مصالح مع الطرف الآخر، ولا يرغب في التنازل عنها، فمن خلال ذلك يتوقع الباحث بقاء حالة التعاون الثنائية بين كلا الجانبين كما هي.

السيناريو الثالث: تعقّد العلاقة بين الصين والقارة الإفريقية: (20)

(20) رانيا نادي محمد حسين، مصدر سبق ذكره

برغم من تعاون الصين مع القارة الإفريقية في شتى المجالات؛ إلا أن هناك بعض المخاوف التي تساور عقول الأفارقة بأن ذلك من الممكن أن يكون فخاً للديون، وبذلك تُرغم الدول الإفريقية فيما بعد على التخلي عن سيادتها أو جزء منها للدولة الصينية، وذلك مثل ما حدث مع دولة «سريلانكا»؛ حيث كانت الدولة الصينية خير داعم لها بعد انتهاء الحرب الأهلية بها، وذلك لكي تتمكن من إعادة بناء البنى التحتية الخاصة بها، لكن عانت الدولة فيما بعد من تفاقم الديون الخارجية، ولم تستطع تسديدها لذلك اضطرت للتخلي عن جزء من سيادتها، وتخلت عن ميناء «هامبانتوتا».

كما أن القارة الإفريقية تعاني من أكبر نسبة فقر في العالم؛ حيث يعاني 47% من سكانها من الفقر، وتبلغ نسبة الذين يعانون من الجوع وسوء التغذية حوالي 30%، وتصل بها نسبة البطالة إلى حوالي 70%، وتجاوزت ديون القارة السمراء حوالي 400 مليار دولار، ونظراً لتفاقم المشكلات الاقتصادية تكون قدرة القارة الإفريقية في تضائل مستمر على الوفاء بالديون الخاصة بها.

فضلاً عن هناك بعض الآراء الغربية التي تشير أن الصين هي العائق الوحيد لعملية السلام والأمن في المنطقة، خاصة في المناطق الغنية بالنفط، وهذه الحالة متمثلة في دولة دارفور، وكذلك تعمل الصين على دعم الأنظمة الاستبدادية في المنطقة، مثل دولتي زيمبابوي والغابون، وكذلك تعمل الصين على السيطرة على كافة الموارد الطبيعية التي توجد في القارة الإفريقية؛ من خلال منفذ التجارة، بالإضافة إلى أنها ملوثة حقيقي للقارة السمراء.

ونظراً لأن هناك قلقاً إفريقياً من العلاقات الصينية الإفريقية، وهناك العديد من المخاوف التي تنال من استقرار الشعب الإفريقي، ويمكن كذلك أن تنال من استقلاله ووفقاً لهذه الآراء يتوقع الباحث تراجع العلاقات الصينية الإفريقية مستقبلاً.

ويمكن القول إن هناك وجهتين للنظر في التغلغل الصيني داخل القارة الإفريقية، الأولى تعتبر الصين شريرة، لأنها تسعى إلى الحصول على الموارد الطبيعية وإلحاق

الضرر بالجهود الهشة التي تبذلها الدول الأفريقية في سبيل تحقيق النمو المستدام، التنمية، وتحسين الحكم، والثانية تعتبر الصين فاضلة، من خلال الإسهامات التي تقوم بها في تأسيس التنمية الاقتصادية على المدى البعيد من خلال مشاريع البنية التحتية، والمتأمل للوضع الراهن، يلاحظ أن هناك ضرورة للتعاون بين الصين وأفريقيا من ناحية الصعود الصيني وأفريقيا في النظام العالمي الجديد في ظل تقلب الاقتصادات السياسية في الدول الأفريقية مع تغير أجناسات الدول الغربية، ووجود الصين في أفريقيا يمثل مرحلة جديدة للمشاركة بين الصين وأفريقيا، ونلاحظ تغير استراتيجية الصين التي كانت تركز على الفرص الاقتصادية فحسب، ولكن انخراطها مع الدول الأفريقية اتسع على مدى السنوات الماضية ليشمل مجالات عديدة منها التعاون الدبلوماسي، الثقافي، والأمني، حيث تغطي السياسة الخارجية للصين القارة السمراء بأكملها ولا تقتصر على مناطق معينة.⁽²¹⁾

(21) نسرين الصباحي، قراءة في الاستراتيجية الصينية في افريقيا: القوة الناعمة، الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية، 2018، <https://www.politics.dz.com>

الخاتمة

تؤدي القوة الاقتصادية دوراً أساسياً في علاقة الصين بالقارة الافريقية فهي تتبع مبادئ ساهمت في تحقيق التوسع الصيني في افريقيا وكذلك تنشيط التجارة بين الصين والدول الافريقية وايضاً توسيع الاستثمار الصيني بالقارة والعمل على تنمية البنية التحتية للقارة الافريقية. كما أن ما تحققه الصين من إنجازات اقتصادية سترك تأثيراً واضحاً في دورها السياسي الخارجي الذي أصبح متحرراً من القيود التي كانت تفرضها عليها بيئتها المحلية والدولية، ولا شك في أن الإصلاحات الاقتصادية الداخلية ومحاولاتها التكيف مع مشكلاتها الإقليمية والدولية جاءت لتتوافق مع تطلعات الصين لأن تصبح ذات شأن في السياسة الدولية كما أن دورها لم يعد يستند إلى المتغير الأيديولوجي بقدر ما هو مستند إلى معطيات اقتصادية تدعمها القدرات العسكرية، كما شهد العقد الأخير تحسناً كبيراً في مشاركة الصين في أفريقيا، حيث تم تأسيس المنتدى الصيني الأفريقي للتعاون كوسيلة رئيسة لإدارة الحوار والتحديث بين مختلف البلدان الأفريقية والصين. ويكسب المنتدى العلاقات الأفريقية الصينية بعداً تكاملياً يقوم على الشراكة وليس الهيمنة، وهو ما يعزز من تحديد الهوية الصينية تجاه أفريقيا بناءً على أسس خاصة. وفي السنوات القادمة، ستعزز الصين من مصالحها في القارة، وفي هذا السياق يُعد المنتدى الصيني الأفريقي للتعاون فرصة جيدة للشراكة الرابحة بين الجانبين، والذي سيعود بالنفع على أفريقيا باعتبار أن الاقتصاد الصيني من أكبر اقتصادات العالم نمواً في العالم.